

## الجغرافيا النسوية : النظرية والمنهجيات واستراتيجيات البحث كيم إنجلاند

ترجمة بتصرف  
أ.د. مضر خليل عمر

لطالما انخرط الباحثون في مجال الجغرافيا النسوية في نقاش حاد حول أساليب البحث ومنهجيته . ويُعد النقاش جزءاً أساسياً من عملية إنتاج المعرفة ، ولا يوجد اتفاق بين جميع الباحثين في هذا المجال حول أفضل طريقة لفهم العالم من منظور نسوي . ويعود جزء من ذلك إلى عدم وجود منهج جغرافي نسوي واحد ، بل هناك عدة توجهات متداخلة . وبالتالي ، توجد رؤى متعددة ، بل متنافسة ، للجغرافيا النسوية ، مع وجود خلافات وتفاوتات وتوافقات حول الأساليب المختلفة لممارسة وإنتاج الجغرافيا النسوية . مع ذلك ، توجد أوجه تشابه بين هذه التوجهات . في جوهر الجغرافيا النسوية ، يكمن تحليل تعقيدات السلطة والامتياز والقمع والتمثيل ، مع التركيز على الجنس كعامل أساسي في العلاقات الاجتماعية (على الرغم من أن مفهوم الجنس يُفهم على نطاق أوسع كونه نتاجاً للتفاعل بين العديد من العلاقات الاجتماعية) .

يكشف الباحثون في الجغرافيا النسوية عن العلاقات السلطوية (التي غالباً ما تُعد طبيعية) في المفاهيم السائدة حول الجنس . ويشارك الباحثون في الجغرافيا النسوية الهدف السياسي والفكري المتمثل في تغيير العالم اجتماعياً وسياسياً . يساهم البحث النسوي في تحدي المفاهيم والأساليب التقليدية ، ويطور فهماً جديداً للمعرفة . في هذا الفصل ، أناقش أحد أهم جوانب "التحدي النسوي" : نقاشاتنا حول الأساليب (تقنيات جمع وتحليل البيانات) والمنهجيات (الموقف المعرفي أو النظري تجاه مشكلة بحثية معينة) . كانت مهمة أولى الباحثات في الجغرافيا النسوية هي إعادة إبراز دور المرأة في الجغرافيا البشرية ومعالجة تجاهل الباحثين التقليديين للفروقات بين الجنسين . لذلك ، ركزت الدراسات النسوية المبكرة على تحدي سيطرة الذكور ، وإبراز حياة المرأة ، وتحليل عدم المساواة بين الجنسين .

دارت النقاشات حول الأساليب والمنهجيات حول مدى فائدة الأساليب التقليدية (التي تتجاهل الجنس أو تميز بين الجنسين) للباحثات ، وخاصة الأساليب الكمية والاستبيانات الموحدة والمقابلات "التقليدية" التي تُجرى "بشكل موضوعي" . ركزت المناقشات على سؤالين رئيسيين : "هل توجد منهجية نسوية ؟" و "أي منهجية هي الأكثر تميزاً بالنهج النسوي ؟" . المقصود هنا بكلمة "نسوي" هو الصفة التي تميز بعض أساليب البحث ، كما نستخدم صفة "كمي" أو "نوعي" لوصفها . وعموماً ، رُشّحت الأساليب النوعية ، وخاصة المقابلات التفاعلية ، لأنها الأكثر ملاءمة لأهداف التحليل النسوي وسياساته (رينهارز، 1979؛ أوكلي، 1981؛ ستانلي ووايز، 1993) .

وفي استعراضهن لهذه المناقشات النسوية المبكرة ، تؤكد كل من ليز ستانلي وسو وايز (1993) أن جوهر النقاش لم يكن في المنهجية نفسها ، بل في المناهجية المتحيزة جنسياً والنظريات المعرفية المتنافسة . ويجادل كل منهما ، بالإضافة إلى آخرين ، بأنه لا يوجد ما هو جوهري في الأساليب الكمية أو النوعية يجعلها نسوية ، وإنما جوهر النهج النسوي يكمن في المواقف المعرفية التي اتخذت تجاه الأساليب وطرق استخدامها من قبل الباحثين . لا يوفر أي أسلوب واحد طريقاً مباشراً للوصول إلى "الحقيقة" ، ومع تناقص أهمية (وعدم جدوى) ربط أساليب معينة بنظريات معينة للمعرفة ، ظهر اتجاه نحو اختيار الأسلوب المناسب بناءً على سؤال البحث المطروح . الحجة التي أ طرحها في هذا الفصل هي أن مساهمات النسويات في ممارسات البحث

في الجغرافيا الإنسانية تركّز بشكل عام على نظرية المعرفة (طرق فهم العالم) والمنهجية والسياسة ، أكثر من ابتكار أساليب بحث جديدة .

في القسم الأول ، أناقش الادعاءات النظرية المختلفة التي طرحتها الباحثات النسويات حول أساليب البحث والمنهجيات . في القسم الثاني ، أتطرق إلى الأساليب التي يعتمد عليها الجغرافيون النسويون لإنتاج وتوضيح فهمهم النسوي للعالم . الأساليب والمنهجية في الجغرافيا النسوية منذ نشأتها في السبعينيات ، ساهمت الجغرافيا النسوية في إعادة النظر في المفاهيم المألوفة ، وقدمت نقداً عميقاً وذات تأثير للمفاهيم والتصنيفات التقليدية في الجغرافيا الإنسانية (ينظر الفصل 4). تحدث الباحثات النسويات في الأوساط الأكاديمية الفكرة السائدة بأن "البحث الجيد" يتطلب الحياد والحيادية العلمية . ومنذ ذلك الحين ، واصلت الباحثات النسويات تحدي المفاهيم التقليدية وتطوير مناهج نسوية لإنتاج المعرفة .

أنتجت النسويات مجموعة كبيرة من الدراسات حول الأساليب والمنهجيات النسوية ، وفي السنوات الأخيرة نشر جغرافيون العديد من المقالات في هذا الموضوع (على سبيل المثال: ماكحول، 1992؛ أعداد خاصة من مجلة "ذا كنداين جيوغرافر"، 1993؛ "ذا بروفيشينال جيوغرافر"، 1994، 1995؛ جيبسون-غراهام، 1994؛ جونز وآخرون، 1997؛ موس، 2001، 2002، ACME، 2003). في هذا القسم، أوضح العناصر الرئيسية للنقاش حول الادعاءات النظرية وسياسات ممارسة البحث النسوي ، والتي تتداخل مع عملية إنتاج المعرفة النسوية والتزام النسويات بممارسات بحثية رائدة . (يتناول جزء كبير من حديثي حول هذا النقاش التفاعلات البحثية المباشرة ، لكن يمكن تطبيق حجج مماثلة على أساليب بحثية أخرى : ينظر غيليان روز، 2001، حول الثقافات المرئية والمنهجيات؛ ومونا دوموش، 1997، حول الجغرافيا التاريخية النسوية).

### نقد المنهجية الوضعية والمعارف السياقية.

يركّز "النهج العلمي الغربي الصناعي" على النظام والمنطق والقياس والتوقع والتجريد والنظرية ، بينما ينتقد المنهج النسوي هذا النهج بشدة (ستانلي ووايز، 1993: 66) . شككت النسويات مبكراً في إمكانية إنتاج "بحث جيد" من قبل "خبراء" محايدين يسعون إلى الحقائق المطلقة باستخدام بيانات خالية من القيم ، حيث "تتحدث الحقائق عن نفسها" . يعتمد البحث المبني على "النهج العلمي الغربي الصناعي" على نظرية المعرفة الوضعية التي تؤكد الموضوعية . تشكل المنهجية الوضعية ، والقيم التي يؤمن بها (المنطق ، إلخ)، والسعي وراء الحقائق المطلقة والمعرفة الشاملة ، نهجاً وصفت دونا هارووي بأنه "خدعة إلهية... ترى كل شيء من لا مكان" (1991: 189) . لا يوجد بحث، سواء كان وضعياً أو إنسانياً أو نسوياً ، خارج نطاق الأيديولوجيا والسياسة ؛ البحث ليس خالياً من القيم (حتى في العلوم الدقيقة) .

ترى النسويات أن البحث ينشأ في عالم يفسره الناس ، بما في ذلك أنفسنا ، الذين يعيشون فيه . عندما نصبح باحثين ، سواء كنا فيزيائيين أو نسويات ، لا يمكننا تجاهل الحس السائد ، فهم العالم . بدلاً من ذلك ، يجادل الباحثون النسويون بأن "البحث الجيد" يجب أن يكون حساساً لكيفية تأثير القيم والسلطة والسياسة على ما نعهده "حقائق" ، وكيف نطور منهج بحث معين ، وما هي الأسئلة البحثية التي نطرحها ، وما نلاحظه أثناء إجراء البحث . منذ أوائل التسعينيات ، غدى النقد النسوي للموضوعية أكثر شمولاً بفضل مساهمات الباحثات النسويات في دراسات العلوم والتكنولوجيا (مثل فوكس كيلر، 1985؛ هاردمينغ، 1986؛ هارواي، 1991) . تُشير إيفلين فوكس كيلر إلى أن الفكر الغربي التقليدي يستند إلى نظرية الوجود (نظرية في ماهية الأشياء وعلاقاتها) تقوم على فكرة التناقض بين الذات والآخر، والتناقض الثنائي بين الموضوعية (الذكورية) والذاتية (الإنثائية) . أما البديل الذي تقترحه فهو نظرية وجودية نسوية تقوم على التفاعل المتبادل بين الذات والآخر،

وعملية مستمرة (بدلاً من الثبات) . أما هارواي فتؤكد على موضوعية نسوية متكاملة ، حيث يُقدر كل من الباحثين والباحثين عنهم لخبراتهم المعرفية المتنوعة وأوجه نظرهم الجزئية . ويعني هذا أن المعرفة ليست ثابتة أو مطلقة ، بل هي نسبية ومتغيرة ، وتتأثر بالسياق الذي أنتجت فيه ، وبخصوصيتها وموقعها المحدود.

### علاقة الباحث بالمتخصصين في مجال البحث وعلاقات القوة.

إن الحساسية لعلاقات القوة تكمن في صميم مناقشات النسويات حول المنهج . إن أساليب العلوم الاجتماعية التقليدية (سواء كانت كمية أو نوعية) تُصور الباحثين كخبراء متفوقين يتحكمون في عملية البحث ، بينما يُنظر إلى المتخصصين في مجال البحث على أنهم أطراف سلبية ، بينما يُفترض بالباحثين أن يبقوا موضوعيين من خلال الابتعاد عن المشاركة المباشرة . إن النظرية الوجودية النسوية والموضوعية النسوية المتكاملة تُشكك في هذا التناقض الحاد بين الموضوع والفاعل . في البحث النسوي ، وخاصة في البحث الميداني ، لا يُنظر إلى المتخصصين في مجال البحث على أنهم أطراف سلبية ، بل كأفراد ذوي معرفة يُعتمد بهم كخبراء في تجربتهم . بدلاً من تقليل التفاعل (لتجنب التحيز) ، تسعى النسويات إلى تعزيز التفاعل . يسعى الباحثون النسويون إلى تقليل الفجوة بين أنفسهم وبين الأشخاص الذين يتم دراستهم ، وذلك من خلال بناء علاقات قائمة على نقاط التقاء مشتركة ، وتعزيز التعاون وتبادل المعرفة .

ومن خلال السعي لبناء علاقات بحثية مبنية على التعاطف والتبادل والاحترام ، يركز الباحثون النسويون على فهم الشخص المدروس لظروفه الشخصية والأطر الاجتماعية التي ينتمي إليها (بدلاً من فرض تفسيراتهم الخاصة) . عملياً ، يعني هذا اتباع أسلوب مرن في طرح الأسئلة ، وتغيير مسار المقابلة وفقاً لما يرغب أو يستطيع الشخص المدروس التحدث عنه . وكونها استراتيجية بحثية ، قد توفر هذه الطريقة فهماً أعمق للترابطات الدقيقة في المعنى التي تشكل حياة الأشخاص المدروسين ، ومن الناحية السياسية ، فإنها ترسخ المعرفة والنهج النسويين في تجارب النساء اليومية .

أما النظريات النسوية ما بعد البنائية الحديثة ، فتعد كل من الباحث والشخص المدروس جزءاً من شبكة معقدة من السلطة والامتياز . وتركز الكثير من الأبحاث النسوية على المجموعات المهمشة ، وهناك قدر كبير من السلطة الاجتماعية المرتبطة بكون المرء باحثاً . وبالتالي ، فإن استراتيجيات البحث القائمة على موضوعية نسوية شاملة لديها القدرة على الحد من العلاقة الهرمية بين الباحث والشخص المدروس ، وتجنب استغلال الأفراد الأضعف كمصادر بيانات فقط . في الوقت نفسه ، يُنظر إلى عملية البحث الآن على أنها بنية مشتركة بين الباحث والشخص المدروس ، حيث يشكل كل منهما عالماً الخاص . وتعد النظرة ما بعد البنائية لعلاقة الباحث بالشخص المدروس أنها عملية بناء مشتركة للمجال البحثي وإنشاء مشروع بحثي تعاوني .

وهذا المفهوم مفيد أيضاً عند النظر في علاقات القوة . وتفاعل الباحثين مع المشاركين في مقابلات جغرافيات نسويات مع النخب (ينظر على سبيل المثال: ماكحول، 1998؛ إنجلترا، 2002) . في هذه الحالة ، نكون في وضع أقل قوة مقارنة بالمشاركين الذين اعتادوا على امتلاك قدر كبير من السيطرة والسلطة على الآخرين ، ولكن على الرغم من ذلك ، ما يزال كل من الباحث والمشارك يساهم في عملية البحث .

### الموقف والتحليل الذاتي

من أهم عناصر النظرية النسوية في عملية البحث مفهومي الموقف والتحليل الذاتي (إنجلترا، 1994؛ روز، 1997؛ فالكونر العيساوي وكاواباتة، 2002) . يثير هذان المفهومان أسئلة مهمة حول السياسة وأخلاقيات البحث ، وكان لهما تأثير كبير في الجغرافيا النسوية وخارجها . يشير مفهوم الموقف إلى كيفية نظر الناس إلى العالم من مواقع مختلفة . يعني موقع المعرفة أنه سواء كنا باحثين أو مشاركين ، فإننا نختلف

في مواقعنا الاجتماعية والفكرية والمكانية ، بتاريخنا الفكري وخبرتنا الحياتية ، وكل هذا يشكل فهمنا للعالم والمعرفة التي ننتجها . يشير الموقف أيضًا إلى كيف يتم وضعنا (من قبل أنفسنا ، من قبل الآخرين ، من خلال خطاب معين) فيما يتعلق بعمليات اجتماعية متعددة ومتشابكة (الجنس ، الطبقة ، العرق / الأصل ، العمر ، الميول الجنسية ، إلخ)، مما يعني أيضًا أننا في مواقع مختلفة في هرم السلطة والامتياز.

موقفنا يشكل بحثنا ، وقد يمنع أو يسهل بعض نتائج البحث (ينظر موس، 2001 حيث يناقش الجغرافيون سيرهم الذاتية فيما يتعلق بأبحاثهم). تم توسيع مفهوم الموقف ليشمل استجابات الآخرين لنا كباحثين . كباحثين ، نحن جزء مرئي وجوهري من عملية البحث (بدلاً من كونه مراقبين خارجيين) . لذا فإن وجودنا كباحثين واستجابة المشاركين لنا تؤثر على المعلومات التي يتم جمعها خلال عملية البحث . **في سياق البحث العلمي ، تعني الانعكاسية الذاتية التمعن التحليلي والوعي الذاتي لدور الباحث** . وفي مناهج البحث النسوية ، تتوسع الانعكاسية الذاتية لتشمل النظر في مفهوم السلطة وتداعياتها في العلاقة البحثية . تُثير جيلان روز (1997) مخاوف بشأن ظهور ما يُمكن أن يُسمى "تطرف نسوي" حول الانعكاسية الذاتية . فهي تُشير إلى أن الانعكاسية الذاتية لا تجعل كل شيء شفافاً تماماً ، ولا يمكننا تحديد موقعنا بدقة في البحث ، لأننا لا ندرك تماماً موقعنا في شبكات السلطة .

وَتُذكرنا مخاوفها بأهمية التساؤل باستمرار عن افتراضاتنا ، وأن المعرفة دائماً جزئية ، بما في ذلك معرفتنا بأنفسنا . مع ذلك ، تُحفزنا الانعكاسية الذاتية على التفكير في عواقب تفاعلاتنا مع أفراد المجتمع محل الدراسة . فهل ما نكتشفه يستحق التدخل في حياة الآخرين ؟ وهل نحن نُسيء استخدام المعرفة أو حتى نسرقها من الآخرين ؟ مع أن الانعكاسية الذاتية تُساعدنا على فهم علاقات السلطة ، والعلاقات البحثية غير المتكافئة أو الاستغلالية ، إلا أنها لا تُزيلها ، لذا يجب أن نتحمل مسؤولية بحثنا .

## السياسة والمساءلة

يرى الباحثون الجغرافيون النسويون أننا مسؤولون عن أبحاثنا ، وعن تدخلنا في حياة الناس ، وعن كيفية عرض هذه التجارب في أوراقنا البحثية . يجب أن نُقر بموقعنا في نظام التمييز والاضطهاد ، وأن نُدرج ذلك في أوراقنا البحثية . كما يقول لورانس بيرج وجوليانا مانسفلت : **"عملية الكتابة تُشكّل معرفتنا بالبحث ، كما تُعبّر بوضوح عن شخصيتنا"** ، ومن أين ننطلق في حديثنا» (2000: 173). يجب أن نتحمل مسؤولية عواقب تفاعلاتنا مع الأشخاص الذين ندرسهم (وتتشرط لجان أخلاقيات البحث في العديد من الجامعات ذلك). وهذا أمر بالغ الأهمية عندما قد يكشف بحثنا عن ممارسات كانت خفية سابقاً ، مما قد يستغلها البعض لأغراض قمعية ، حتى لو كان هدفنا هو إظهار أنظمة القمع بشكل أوضح للمضطهدين (كاتز، 1994؛ كوباياشي، 1994).

على سبيل المثال ، لا يكشف بعض الباحثين الذين يدرسون مجتمعات المثليات عن مواقع دراساتهم الميدانية (ينظر على سبيل المثال فالنتين، 1993) ، احتراماً لرغبة المشاركات في عدم الكشف عن هويتهم ، ولخوفهن من الانتقام ، بما في ذلك الاعتداء الجسدي . يتقاسم جغرافيو الحركة النسوية الهدف السياسي والفكري المتمثل في تغيير العالم اجتماعياً وسياسياً ، وهو الهدف الذي تسعى أبحاثهم إلى فهمه . لقد أدى انتشار مفهومي الانعكاسية والوضع الاجتماعي في البحث إلى خلق حيرة سياسية وأخلاقية ، بل أزمة ، حول العمل مع مجموعات لا ننتمي إليها . وهذا يثير أسئلة صعبة حول سياسة المكان (اجتماعياً وجغرافياً ، بما في ذلك النساء البيض من الشمال العالمي اللاتي يدرسن النساء من / في الجنوب العالمي).

وقد كان هذا نقاشاً مثيراً للجدل ، بل مؤلماً ، بالنسبة للنسويات ، داخل وخارج الأوساط الأكاديمية . تخلى بعض الباحثين النسويين عن مشاريع بحثية تتعلق بمجموعات لا ينتمون إليها ، تاركين المجال لمن

لديهم "وضع داخلي" . وقد اشتد هذا النقاش مع ازدياد التزام الجغرافيات النسويات بالنظر في المواقف المتنوعة للنساء (والرجال والأطفال) في مجموعة واسعة من السياقات الاجتماعية والمكانية . هذا المأزق مثير للقلق بشكل خاص بالنسبة للنسويات اللاتي يرغبن في معالجة المواقف المتعددة والمتداخلة للمحسوبية والقمع ، واللاتي يلمن بإحداث تغيير . مع ذلك ، ترى أودري كوباياشي أن "السمات المشتركة دائماً جزئية..." [وبالتالي] فإن البحوث الميدانية والتحليلات النظرية تحقق فائدة أكبر من التركيز على السمات المشتركة بدلاً من التركيز على الاختلافات الأساسية" (1994: 76).

هذا لا يعني أن انتقاد المفهوم الأساسي (الذي يتبنى تصنيفات جامدة ويبرر الاختلافات) يعني تجاهل الاختلافات أو إغفال تجارب المجموعات المهمشة ؛ بل على العكس تماماً . بل يعني بناء على فكرة أن الجميع متشابكون في شبكات متعددة من الامتياز والقمع ، بحيث لا يوجد في الواقع قمع مطلق أو ضحايا مطلقون . يمكن أن تنبثق السياسة التحويلية الفعالة من قبول أن الامتياز نتاج ظروف القمع التاريخية والحالية ، وأن الناس يحتلون مواقع مختلفة في شبكات السلطة الناتجة . هذا يعني ، على سبيل المثال ، أنه سواء اعترفت بذلك أم لا ، فبصفتي امرأة بيضاء ، أنا أشارك في الامتيازات الممنوحة للبيض وأستفيد منها . بالنسبة لنا ، كأصحاب امتيازات اجتماعية أكبر (بما في ذلك كباحثين) ، بدلاً من التوتر بشأن ذنبنا ، قد يكون من الأجدى معالجة دورنا في هذا الوضع ، وجعل حياتنا مساحة للمقاومة والعمل الجاد للتخلص من هذا الامتياز (بييك وكوباياشي، 2002) .

يؤمن النسويون بأننا ملتزمون بالأهداف السياسية والفكرية لكشف السلطة والامتياز، وتحويلهما . جزء مهم من ذلك هو فهم كيفية عمل العالم ، وتفسير آلية عمل السلطة وكشفها ، لأن هذا يمكننا من تقييم إمكانيات التغيير بشكل أفضل ، ويوفر المعرفة المناسبة التي تحقق التغيير بشكل فعال . بناء فهم نسوي للعالم في هذا القسم ، سأحدث عن كيفية استخدام جغرافيات نسويات أساليب البحث لبناء فهم نسوي للعالم . بشكل عام ، تصنف الأساليب إلى نوعين : نوعي وكمي ، لذا سأبدأ بتعريف كل منهما . ثم سأقدم أمثلة على استخدام هذه الأساليب في بحوث الجغرافية النسوية . (ينظر المربع 26.1) . وأخيراً ، سأنتقل إلى ما يُسمى "الجدل بين الأساليب الكمية والنوعية" .

### الأساليب الكمية والنوعية والمختلطة

يركز البحث الكمي على أسئلة مثل "كم عددهم ؟" و "كم مرة ؟" ويحاول قياس الأنماط العامة في عينات تمثيلية من السكان . تستخدم التقنيات الإحصائية لتحليل البيانات ، على سبيل المثال ، الإحصاء الوصفي ، والإحصاء المكاني ، وأنظمة المعلومات الجغرافية (GIS) . غالباً ما تكون البيانات بيانات ثانوية (يتم جمعها عادةً بشكل رسمي ، مثل التعداد السكاني) وتعتمد على مقاييس قياسية (مثل تلك المستخدمة في التعداد السكاني) . قد تُستخدم البيانات الأولية أيضاً ؛ حيث يجمع الباحث بياناته الخاصة عادةً من عينات كبيرة باستخدام استبيانات منظمة بدقة تحتوي على فئات قابلة للقياس بسهولة . يركز البحث النوعي على سؤال "لماذا ؟" ويحاول تفسير التجارب ضمن سياقات أوسع من المعاني وفي إطار هياكل وعمليات اجتماعية . تعتمد التقنيات على التفسير وتركز على المعاني ، وتشمل الأساليب الشفوية (مثل المقابلات شبه المنظمة ، ومجموعات النقاش ، والتاريخ الشفهي) ، والملاحظة بالمشاركة ، وتحليل النصوص (مثل المذكرات ، والوثائق التاريخية ، والخرائط ، والمظاهر الطبيعية ، والأفلام ، والصور ، والإعلام المطبوع) . تكون العينات عادةً صغيرة ، وغالباً ما يتم اختيارها بعناية (للتناسب مع موضوع البحث) ، وإذا تم استخدام الأساليب الشفوية ، فمن الشائع أن يطلب الباحثون من المشاركين المساعدة في إيجاد مشاركين آخرين (ما يُعرف بطريقة "كرة الثلج") . لمزيد من الأمثلة ، ينظر الملحق 26.1.

في بعض الحالات ، يُمكن تحقيق فهم أفضل للعالم من منظور نسوي من خلال الجمع بين أساليب البحث المختلفة ، والتي تُعرف باسم **الأساليب المختلطة أو متعددة الأساليب أو التثليث** . في الجغرافيا البشرية ، نعد الأساليب المختلطة مزيجاً من الأساليب النوعية والكمية كاستراتيجيات تكاملية . على سبيل المثال ، في دراستهن الشاملة حول النوع الاجتماعي والعمل والمساحة في مدينة وورستر ، ماساتشوستس ، سعى كل من سوزان هانسن وجيرالدين برات (1995) إلى فهم أعمق للروابط المعقدة بين المسؤوليات المنزلية ، والتفرقة المهنية ، والبحث عن العمل ، واختيار مكان الإقامة . شمل بحثهن التحليل الإحصائي وتصوير بيانات تعداد السكان ، بالإضافة إلى التحليل الكمي والنوعي لاستبيانات شبه منظمة تم جمعها من خلال مقابلات مع 700 من النساء والرجال في سن العمل من مختلف أنحاء وورستر ، و 150 صاحب عمل و 200 موظف في أربعة مجتمعات محلية مختلفة في وورستر .

يشير مصطلح "الأساليب المختلطة" أيضاً إلى الجمع بين الأساليب أو أنواع مختلفة من البيانات ضمن مشروع بحثي نوعي أو كمي . في الأمثلة في الملحق 26.1 ، يشمل مشروع ريشا ناغر في دار السلام دراسات تاريخية شفوية ، ومقابلات ، والملاحظة المباشرة ؛ أما مشروع سارة ماكلافيрти حول سرطان الثدي فاستخدم تقنيات إحصائية ونظم معلومات جغرافية . يمكن أن يشمل الأسلوب المختلط أيضاً تصميم بحثي يجمع بين باحثين من خلفيات بحثية أو مناهج معرفية مختلفة . على سبيل المثال ، أوضح كل من سوزان هانسن وجيرالدين برات أن تعاونهما لم يكن مبنياً فقط على اهتمامهما المشترك بالفلسفة النسوية والجغرافيا الاجتماعية الحضرية ، بل أيضاً على اختلاف خلفيتهما : إحداهما متخصصة في النقل والجغرافيا الكمية ، والأخرى في الإسكان والجغرافيا الثقافية (1995: xiv).

يسمح الأسلوب المختلط بالإفادة من هذه الاختلافات ، ويساهم في جعل البحث أكثر حساسية لمجموعة واسعة من الأسئلة والنقاشات . هل هناك خلاف بين الأساليب الكمية والنوعية ؟ إن الادعاءات المعرفية التي ذكرتها في القسم السابق تشير إلى أن الباحثات النسويات يميلن إلى استخدام الأساليب النوعية بدلاً من الكمية . لكن لاحظت ليز ستانلي وسو وايز (1993: 188) أنه حتى في أوائل الثمانينيات ، لم يدغ سوى عدد قليل من الباحثات النسويات إلى رفض تام للأساليب الكمية . وشجعوا النسويات على استخدام جميع الوسائل الممكنة لبناء فهم نسوي نقدي للعالم . منذ منتصف التسعينيات ، دار نقاش حاد بين الباحثات الجغرافيات النسويات حول استخدام الأساليب الكمية ، مع تعديلها بما يناسب كل حالة (مجلة "الجغرافي المحترف"، 1995؛ مجلة "الجنس والبيئة والثقافة"، 2002).

تري فيكي لوسون أن "الباحثات النسويات يمكنهن ويجب عليهن استخدام التقنيات الكمية في سياق فلسفة الوجودية العلاقة للإجابة عن أنواع معينة من الأسئلة" (1995: 453) . ويجادل بعض الباحثات الجغرافيات النسويات بأن بعض الانتقادات النسوية القديمة للأساليب الكمية تحتاج إلى إعادة النظر . فمثلاً ، يُقال إن البحث الكمي لا يمكنه تحليل سوى فترة زمنية محددة (مثل تعداد السكان) ، بينما البحث النوعي يوثق السياقات التاريخية والاجتماعية المتغيرة . وتقترح داماريس روز (2001) أن الابتكارات الحديثة في التقنيات الكمية تخفي هذا التمييز . فمثلاً ، يتضمن تحليل تاريخ الأحداث دراسات طويلة الأمد وتوثيق تسلسل الأحداث تاريخياً للتنبؤ بالاحتمالات الإحصائية لحدوث حدث معين .

يجادل آخرون بإمكانية وجود منهجيات كمية نقدية . فمثلاً ، تصف سارة ماكلافيрти (2002) كيف تواصلت معها نساء في ويست إيسليبي ، نيويورك ، لطلب المساعدة في تحليل استطلاع رأيهن حول سرطان الثدي وإجراء مزيد من التحليل الإحصائي (ينظر الملحق 26.1) . وبذلك ، ترى سارة أن نظم المعلومات الجغرافية لديها إمكانات كأداة للنشاط النسوي وتمكين المرأة . وتدعم مي بو قوان (2002؛ 2002) استخدام

نظم المعلومات الجغرافية النسوية (وخاصة أساليب التصور ثلاثي الأبعاد) ، مشيرة إلى أن تحويل البيانات الكمية إلى تمثيلات مرئية "يسمح ، إلى حد ما ، بنوع من التحليل التفسيري أكثر من غيره" لا تسمح الأساليب الكمية التقليدية بذلك (2002ب: 271).

لقد تمّ وصفي للأساليب النوعية والكمية في بداية هذا القسم على أنهما مفهومان متناقضان ، وهو النهج الشائع في نقاشات المنهجية . إن هذه المفاهيم المتناقضة تؤثر على تصوراتنا حول البحث (الموضوع / الفاعل ، الباحث / موضوع البحث) ، وللجغرافيات النسوية ، يبقى التباين بين الأساليب النوعية والكمية جوهرياً . لكن الخلافات حول الأساليب غالباً ما تكون في جوهرها خلافات حول المعرفة وأساليب البحث ، واستخدام هذه الأساليب . تتميز الأساليب النوعية والكمية بمميزات وقصور مختلفة ، ولكن بدلاً من وجود فصل واضح بينهما ، هناك رابط أساسي بينهما ، لأن أحدهما غالباً ما يتضمن جانباً من الآخر . على سبيل المثال يمكن ترميز بيانات المقابلات باستخدام تقنيات نوعية وكمية ، ويمكن تحليل مجموعة البيانات نفسها باستخدام التحليل النوعي والكمي (مثل مشروع سوزان هانسن وجيرالدين برات المذكور أعلاه) . بدلاً من افتراض أن الأساليب النوعية والكمية متناقضة ، من الأفضل عدها جزءاً من نظام متكامل نختار منه الأنسب لأهداف بحثنا . مع أن الأساليب النوعية ما تزال مفضلة لدى الباحثات النسويات ، إلا أن الجغرافيات النسوية استخدمت منذ أوائل التسعينيات مجموعة متزايدة من الأساليب ، بما في ذلك التقنيات الكمية والتقنيات النوعية الحديثة مثل تحليل النصوص والصور .

### الخلاصة

اليوم، تتقدم الجغرافيا النسوية بثقة في مجال الجغرافيا الإنسانية . بفضل النظرية النسوية ، أصبح من المعتاد (بل المتوقع) أن يضع الباحثون في الجغرافيا الإنسانية أنفسهم في سياق اجتماعي وسياسي وفكري ضمن بحثهم . أصبح الباحثون في الجغرافيا الإنسانية ينظرون إلى أنفسهم على أنهم ينتجون معارف جزئية ومتشكلة ومتغيرة بدلاً من الحقائق الثابتة والشمولية . لقد غيرت الجغرافيا النسوية مفهوم الجغرافيا الإنسانية ، كما غيرت إعادة النظر النسوية فهمنا لطرق المعرفة ورؤية العالم . لذا ، لم يقتصر دور الجغرافيا النسوية على توسيع نطاق أبحاث الجغرافيا البشرية فحسب ، بل أعاد أيضاً تعريف مهام الباحثين في هذا المجال وطرق أدائهم . ونظراً للمستقبل ، سيواصل الباحثون في الجغرافيا النسوية إنتاج معارف جديدة والمشاركة سياسياً في استخدام الأبحاث بشكل إيجابي . لكننا بحاجة إلى أن نكون أكثر انفتاحاً على النتائج التي قد تبدو سلبية ، وعلى الأدلة التي تتعارض مع وجهة نظرنا . وكما قالت سوزان هانسن ، أمل أن نطور طرقاً ومنهجيات تزيد من فرص اكتشاف أمور لم نكن نتوقعها ، وتترك لنا مجالاً للتفاجؤ ، ولا تغلق أبوابنا أمام المفاجآت (1997: 125) .

من خلال التفكير النقدي في النظريات والمنهجيات والأساليب ، ساهم الباحثون في الجغرافيا النسوية في خلق جغرافيا بشرية أعمق وأكثر تعقيداً ؛ وقد أثرت تأملاتهم في عملية البحث على طريقة ممارسة الجغرافيا البشرية وإنتاجها وتعليمها . ومن خلال طرح أسئلة جوهريّة والسعي لتطوير أفضل الأساليب لإنتاج المعرفة في المستقبل ، ستصبح قوة الشرح في الجغرافيا النسوية أقوى وأكثر إقناعاً.

**ملاحظة:** اخترت استخدام ضميري "نحن" و"لنا" في هذا الفصل ، ليس لأنني أتحدث باسم جميع الباحثين في الجغرافيا النسوية (أو باسم القراء) . مع مراعاة القضايا التي أثارتها ، على سبيل المثال ، النساء في الدول النامية / دول العالم الثالث ، اللواتي يصرنّ باستبعادهن من مفهوم "نحن" في العديد من التيارات النسوية (ينظر مثلاً: موهانتي وآخرون، 1991) . أبتعد عن استخدام ضمير المتكلم الثالث لأن ذلك يبعدني



عن موضوع كتابتي ، وأنا بالتأكيد لا أرغب في الانفصال عن عملية إنتاج المعرفة النسوية (بيرغ ومانسفلت، 2000).

## الملحق 26.1

### أمثلة على أساليب البحث النوعي والكمي في الجغرافيا النسوية

مثال على البحث النوعي في الجغرافيا النسوية هو دراسة ريشا ناغر حول السياسة المجتمعية والعرقية المرتبطة بالجنس والطبقة في مجتمعات جنوب آسيا في دار السلام ما بعد الاستعمار . شملت الدراسة الميدانية التي أجرتها ناغر في تنزانيا تحليل الوثائق الصادرة عن منظمات الهنود والمجموعات العرقية والحكومة التنزانية ؛ وجمع 36 قصة حياة و98 مقابلة موجزة مع نساء ورجال من أصول جنوب آسيوية (من الهند والمذهب الإثنا عشري الشيعي) ؛ وإجراء ملاحظات ميدانية في الأماكن العامة والبيوت والأحياء . في ورقتها البحثية " أفضل أن أكون متغطرة بدلاً من أن أكون خاضعة" (ناغر، 2000) ، تناولت قصص أربع نساء من الطبقة المتوسطة ، وركزت على استراتيجياتهن في مواجهة ممارسات وقواعد السلوك السائدة في الأماكن العامة .

مثال آخر على البحث النوعي في الجغرافيا النسوية هو بحث جيلان روز حول تفسير معاني المظاهر الطبيعية والتمثيلات البصرية . يركز عمل روز الأخير على الثقافة البصرية ، وخاصة الصور الفوتوغرافية المعاصرة والتاريخية (ينظر كتابها لعام 2001 حول قراءة الثقافة البصرية) . في ورقتها البحثية لعام 2003 حول صور الأسرة ، استكشفت فكرة أن معاني الصور تتحدد من خلال استخداماتها، فمثلاً مفهوم "الأم المثالية" وإنشاء مساحة منزلية تتجاوز حدود المنزل لتشمل الأقارب في أماكن أخرى وأوقات أخرى . أجرت روز مقابلات شبه منظمة مع 14 أمًا من الطبقة المتوسطة البيضاء ذات الأطفال الصغار . عرضت النساء لجيلان صورًا عائلية ، وسجلت الأخيرة مكان وتفاصيل عرض هذه الصور .

تسعى كل من ناغر وروز إلى فهم المعاني ضمن عمليات وهياكل اجتماعية أوسع ، حيث تنظر ناغر في تكوين وتغيير الهوية الاجتماعية في سياق تغيرات سياسية واقتصادية سريعة ، بينما تستكشف روز المعاني المتعددة للأمومة والأسرة والمساحة المنزلية . في كل مشروع ، كان حجم العينة صغيرًا (أربع نساء في دراسة ريشا ، و14 في دراسة جيلان) ، واستندت استراتيجيات البحث إلى فهم المشاركات لظروفهن ، والتي قامت بتفسيرها في سياق البنى والعمليات الاجتماعية الأوسع . وكما هو شائع في البحوث النوعية ، اعتمدت الباحثتان في كتابتهما عن البحث على اقتباسات مطولة من تصريحات المشاركات ، ووصفات نصية مفصلة للرموز والقيم الثقافية السائدة في بيئة البحث وخارجها .

أما في علم الجغرافيا النسوية ، فيتم استخدام الأساليب الكمية بشكل متكرر في دراسات سهولة الوصول (مثل الوصول إلى خدمات رعاية الأطفال والوظائف والخدمات الاجتماعية). فعلى سبيل المثال ، استخدمت أورنا بلومن بيانات التعداد السكاني في المدن الإسرائيلية لقياس جوانب قابلة للقياس في سوق العمل الحضري من حيث النوع الاجتماعي (مثل مسافات التنقل) . وفي ورقة بحثية مع إيريس زامير (بلومن وزامير، 2001) ، استخدمت أورنا تصنيفات المهن في التعداد السكاني لدراسة التفاوت الاجتماعي في سوق العمل السكني . وقامت بتحليل البيانات باستخدام مؤشر عدم التشابه المرجح (وهو مقياس شائع لقياس التباين المهني) وتحليل المساحة الأدنى (لإنشاء تمثيل بياني - بمثابة خريطة - للتباين المهني النسبي).

مثال آخر على استخدام الأساليب الكمية في الجغرافيا النسوية هو بحث سارة ماكلايرتي حول عدم المساواة الجغرافية في الصحة والرفاه الاجتماعي في المدن الأمريكية . في دراسة مشتركة مع ليندا تيماندير



(ماكلافيرتي وتيماندير، 1998) ، استعرضت سارة معدلات الإصابة المرتفعة بسرطان الثدي في ويست إيسليبي ، نيويورك ، مستخدمة بيانات تفصيلية عن مواقع سكن كل امرأة من بين 816 امرأة شملهن الاستبيان (39 امرأة مصابة بسرطان الثدي، و777 امرأة غير مصابة) . وقد جمعت مجموعة من النساء في ويست إيسليبي بيانات الاستبيان . استخدمت سارة وليندا تقنيات إحصائية (اختبار كاي تربيع وتحليل الانحدار اللوجستي) لتحليل العلاقة بين سرطان الثدي وعوامل الخطر المعروفة (مثل وجود تاريخ عائلي للإصابة بسرطان الثدي) . أما بالنسبة للنساء اللواتي لم تكن عوامل الخطر المعروفة تفسر إصابتهن بسرطان الثدي ، فقد استخدمت ليندا وسارة نظم المعلومات الجغرافية لتحليل التكتل المكاني لمعرفة ما إذا كان التعرض البيئي المحلي عاملاً مؤثراً.

في هذين المثالين ، يسأل الباحثان "كم عدد ؟" فمثلاً ، تحسب أورنا عدد الأشخاص العاملين في وظائف معينة في أماكن العمل والبيوت في تل أبيب ؛ بينما تسأل سارة عن عدد النساء المصابات بسرطان الثدي في مناطق محددة في لونغ آيلاند . كما يوضحان كيفية تطبيق الأساليب الكمية على البيانات الأولية (استبيان واسع النطاق على مستوى الأفراد) والبيانات الثانوية (فئات التعداد السكاني الموحدة) . وتتضمن كل دراسة قياس ظاهرة قابلة للقياس (التفرقة المهنية ومعدل الإصابة بسرطان الثدي) واستخدام الإحصاءات الجغرافية ورسم الخرائط .